(من جَبَرَ جُبِر)

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى: 9-11]

أيها الإخوة:

الجزاء من جنس العمل، هذه سُنةٌ إلهيةٌ جرى ذكرها في القرآن والسنة والحياة، سمعناها وقرأناها ورأيناها.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]

«مَن نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسلِماً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَونِ أَخيهِ» [مسلم]

وكل هذه النصوص تقول بأن الجزاء من جنس العمل، فمن جَبَرَ جُبِر ومن كَسَرَ كُسِر.

"جبر الخاطر" مصطلحٌ يعني العطف على المحتاج، والعون للمُصاب، والسعي لإدخال السرور على قلبيهما.

وجَبَرَ خاطرَه إذا سلّاه وعزّاه وفرّج الغمّ عنه، وجَبَرَ خَاطرَهُ إذا طيَّب قلبه وتدارك ما فات من أمره.

أيها الإخوة: هل جاءكم خبر دواء أم محمد، وماكينة أم جميل؟

أما قصة دواء أم محمد: ففي إحدى صيدليات المدينة كانت امرأةٌ عجوزٌ بثياب رثَّةٍ تُكنى بأم محمد تشتري دواءها في كل شهر، كانت المرأة تأخذ الدواء من الصيدلي وتذهب إلى محاسب الصندوق لدفع ثمنه.

إنه شابٌّ بشوشٌ لطيفٌ خلوقٌ، كلما رأته استبشرت، فهي تشتري هذا الدواء من سنين وهذا الشاب يستلم منها ثمنه عشرين ديناراً. توفي الشاب محاسب الصندوق، وحزن أصدقاؤه في الصيدلية لفقده، ولكنه قضاء الله بعباده وقدره المكتوب عليهم.

عادت الحاجة أم محمد للصيدلية وطلبت دواءها وذهبت للصندوق لتدفع العشرين ديناراً، لكنها لم تجد المحاسب، وقبل أن تسأل عنه، قال الشاب محاسب الصندوق الجديد: ما هذا يا خالة؟، قالت: هذه عشرون ديناراً ثمن الدواء؟، رد عليها: لكن هذا الدواء ثمنه مئتا دينار؟!، قالت بتعجب: لكنْ من أكثرَ من ثلاث سنين وأنا آخذه بعشرين ديناراً من الشاب الذي كان مكانك، أين هو؟، رد عليها الشاب: توفاه الله يا خالة منذ أيام –رحمه الله–.

وبعد مراجعة الدفاتر تبيّن أن ذلك الشاب كان يُسدد عنها مئةً وثمانين ديناراً شهرياً من راتبه في الصيدلية، ويأخذ منها العشرين التي ظن أنها تقدر عليها ولا يخبرها بذلك لكي لا تُكْسَر أمامه. وبعد علم صاحب الصيدلة بالأمر قرر استمرار البيع لهذه السيدة بنفس السعر صدقةً جاريةً على روح ذلك الشاب.

ومثل ذلك قصة ماكينة أم جميل.

أيها الإخوة: القرآن والسنة يقولان ويُصدِّقهما الواقع بأن من جَبَرَ جُبِر، ومن مشى بين الناس جابراً للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر، ومن فرَّج عن أخيه كربة فرَّج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

فَجِدُّوا في فعل الخير، واجتهدوا في غرس البِرّ، وأعينوا من استطعتم من خلق الله فإنه من جَبَرَ جُبِر.

والحمد لله رب العالمين